

روح المعاني

ويؤيد تفسير المستقر بالرحم قوله تعالى : ونقر في الأرحام ما نشاء وأما تفسير المستودع بالاصلاب فقال شيخ الاسلام : إنه ليس بواضح وليس كما قال فقد ذكر الامام بعد أن فرق بين المستقر والمستودع بأن المستقر أقرب إلى الثبات من المستودع ومما يدل على قوة هذا القول يعني المروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النطفة الواحدة لا تبقى في صلب الأب زمنا طويلا والجنين يبقى زمنا طويلا ولما كان المكث في الرحم أكثر مما في صلب الأب كان حمل الاستقرار على المكث في الرحم أولى ويلزم ذلك أن حمل الاستيداع على المكث في الصلب أولى وأنا أقول : لعل حمل المستودع على الصلب باعتبار أن الله تعالى بعد أن أخرج من بني آدم عليه السلام من ظهورهم ذريتهم يوم الميثاق وأشهدهم على أنفسهم وكان ما كان ردهم إلى ما أخرجهم منه فكأنهم وديعة هناك تخرج حين يشاء الله تعالى ذلك وقد أطلق ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اسم الوديعة على ما في الصلب صريحا فقد أخرج عبد الرزاق عن سعيد بن جبير قال : قال لي ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أتزوجت قلت : لا وما ذلك في نفسي اليوم قال : ان كان في صلبك وديعة فستخرج وروي تفسير المستودع بالدنيا والمستقر بالقبر عن الحسن وكان : يقول يا ابن آدم أنت وديعة في أهلك ويوشك أن تلحق بصاحبك وينشد قول لبيد : وما المال والأهلون إلا وديعة ولا بد يوما أن ترد الودائع وقال سليمان بن زيد العدوي في هذا المعنى : فجع الاحبة بالاحبة قبلنا فاناس مفجوع به ومفجع مستودع أو مستقر مدخلا فالمستقر يزوره المستودع وعن أبي مسلم الاصفهاني أن المستقر الذكر لأن النطفة إنما تتولد في صلبه والمستودع الأنثى لأن رحمها شبيه بالمستودع لتلك النطفة فكانه قيل : وهو الذي خلقكم من نفس واحدة فمنكم ذكر ومنكم أنثى .

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو فمستقر بكسر القاف وهو حينئذ اسم فاعل بمعنى قال ومستودع اسم مفعول والمراد فمنكم مستقر ومنكم مستودع ووجه كون الأول معلوما والثاني مجهولا ان الاستقرار هنا بخلاف الاستيداع والمتعاطفان على القراءة الاولى مصدران أو أسما مكان ولا يجوز أن يكون الاول اسم مفعول لأن استقرار لا يتعدى وكذا الثاني ليكون كالاول قد فصلنا الآيات المبينة لتفاصيل خلق البشر ومن جملتها هذه الآية لقوم يفقهون .

. 89

- معني ذلك قيل : ذكر مع ذكر النجوم يعلمون ومع ذكر إنشاء بني آدم يفقهون لأن الانشاء من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوالهم المختلفة ألطف وأدق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا له وهو مبني على أن الفقه أبلغ من العلم وقيل

: هما بمعنى إلا أنه لما أريد فصل كل آية بفاصلة تنبيهها على استقلال كل منهما بالمقصود من الحجة وكره الفصل بفاصلتين متساويتين لفظاً للتكرار عدل إلى فاصلة مخالفة تحسيناً للنظم وافتناناً في البلاغة .

وذكر ابن المنير وجهها آخر في تخصيص الأولى بالعلم والثانية بالفقه وهو أنه لما كان المقصود التعريض بمن لا يتدبر آيات الله تعالى ولا يعتبر بمخلوقاته وكانت الآيات المذكورة أولاً خارجة عن أنفس النظائر إذ النجوم والنظر فيها وعلم الحكمة الإلهية في تدبيره لها أمر خارج عن نفس الناظر ولا كذلك النظر في انشائهم من نفس